ملامح الثورة في شعر محمد محمود الزبيري

features of the revolution in Mohamed Mahmoud Al-Zubairi poetry

الدكتور: إبراهيم بن عبد الله بن عتيق
أستاذ الأدب والنقد القديم المساعد
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود
alateeq@ksu.edu.sa

تاريخ الاستلام: 2020/11/20 - تاريخ القبول: 2021/07/14 - تاريخ النشر: 2021/06/30

Summary

Al-Zubairi's poetry is considered one of the most outstanding kinds of poetry that formed awareness and resisted oppression in the modern era. Adopting the descriptive analytical approach, this study aims to reveal the features of the revolution in Al-Zubairi's poetry through the poetic topics that he dealt with, which had made resonance among the Yemenis who hastened to revolt against the oppressive rule regime until they overthrew it and established the republican rule. Al-Zubairi has employed satire, lament, history, bitter reality, various occasions as well as social issues in constructing his revolutionary idea.

Key Words: Poetry, Revolution, Al-Zubairi, Resistance literature, Revolutionary literature, .Yemeni literature

الملخص:

يأتي شعر الزبيري من أهم الأشعار في العصر الحديث التي شكلت وعيا وقاومت ظلما. وتأتي هذه الدراسة . التي اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي . لتكشف عن ملامح الثورة في شعر الزبيري من خلال الموضوعات الشعرية التي طرقها، وكان لها دويّ عند اليمنيين الذين سارعوا في الثورة على الحكم الظالم حتى أسقطوه، وأقاموا الحكم الجمهوري. وقد استعان الزبيري بالهجاء، والرثاء، والتاريخ، والواقع المر، والمناسبات المختلفة، والقضايا الاجتماعية في خدمة فكره الثوري.

الكلمات المفتاحية: الشعر، الثورة، الزبيري، أدب المقاومة، الأدب الثوري. الأدب اليمني.

مقدمة:

عانت كثير من البلاد العربية من ظلم الاستعمار أو الحكم الاستبدادي، لكن لم يعان أي بلد مثل معاناة اليمن في ظل حكم الأئمة الزيدية. هذا الحكم الذي امتد . ما بين قوة وضعف وتوسع وانكماش . أكثر من (1200سنة) منذ دخول الإمام الهادي يحيى بن الحسين عام 284 هجرية إلى سقوطه في ثورة 26 سبتمبر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٩٦٢م على يد أحرار اليمن. كل هذه الفترة واليمن يعيش أسوأ الأوضاع من حيث الحروب والتجهيل والفقر والمجاعات والعنصرية والبطش والظلم. ولذا فلا غرابة أن يعد المؤرخون قدوم الإمام الهادي إلى اليمن إحدى الفتن التي لحقت به آخر المائة الثالثة مع الفتنة الأخرى: فتنة القرامطة[1]. وعلى الرغم من سقوط الحكم الإمامي إلا أنه لم يستسلم، وأخذ يعمل في السر حتى عام 1410هـ/1990م، إذ بدأ بالمجاهرة ببعض الأفكار الإمامية، ونشر الثقافة العنصرية السلالية عبر الكتب والبحوث والأحزاب السياسية[2]، وانتهى الأمر بالانقلاب الحوثي الإمامي على الحكومة الشرعية والنظام الجمهوري في اليمن عام 1436هـ- 2015م، وهكذا يعيد التاريخ نفسه، وتعود اليمن إلى الحكم الإمامي الرجعي، حكم السلالة العنصرية، حكم البطش والطيش والتجهيل، فيتعرض الشعب اليمني إلى كارثة سياسية وإنسانية لا مثيل لها حيث القتل والتهجير والسجن والخطف والاعتقالات والاغتيالات وتفجير البيوت والمدارس والجامعات وزرع الألغام، وغير ذلك من انتهاكات سجلتها الجهات الحكومية والمنظمات المتخصصة في حقوق الإنسان[3].

ولما كان الأدب أحد أشكال الوعي الاجتماعي الذي له أثر مهم وأساسي في تحريض الشعوب التي تناضل من أجل الحرية، وفي بلورة الوعي الثوري والحضاري لدى الجماهير[4]، وكانت علاقة الشعر بالثورة علاقة طبيعية للغاية، مثل علاقة المطر بالأرض، والشمس النبات وحياة الموجودات[5].جاء هذا البحث؛ ليسلط الضوء على ملامح الثورة في شعر الأديب اليمني محمد محمود الزبيري (1336-1384هـ/ 1918-1965م)، الذي يعد من أبرز الأدباء العرب الذين شكّل شعرهم وعياً ثورياً وحضارياً لدى الجماهير اليمنية في ظل الثورة على حكم الأئمة في اليمن. وشعره . باتفاق النقاد . أول تحول في الشعر اليمني المعاصر نحو الأهداف الوطنية والسياسية[6]. ونال بحق وجدارة لقب شاعر اليمن، وشاعر الوطنية، ولا يكابر في ذلك أحد[7]. بل كان شاعر الثورة بلا منازع، حيث فجّر شعره طاقات هائلة كان لها دويّ هائل، وأثر بعيد في ثورات الشعب اليمني[8]. وكان ظهوره بادرة مخيفة للإمامة، فقد كان إنسانا، مثقفا، حر الرأي والضمير، وشاعرا قادرا على الإثارة بل التفجير[9].

فشاعر بهذه المكانة وشعر بهذه القيمة حريّ بأن يدرس، ويبعث من جديد هذا الوقت؛ لأن شعره يحاكي هذا الزمن بأحداثه الدرامية في بلاد اليمن، فما كان يحاربه الزبيري بشعره، ويقاومه بفكره عاد من جديد بفكره وعلى يد أبناء السلاليين وأحفادهم.

وفي هذا البحث الموجز سيقف الباحث على أهم ملامح الثورة والمقاومة والإيقاظ في شعر الزبيري في الموضوعات المختلفة، معتمدا على المنهج الوصفي التحليلي.

يعد الهجاء من أهم ملامح الثورة في شعر الزبيري ومقاومة طغيان الأئمة وحكمهم المستبد، وهو وإن لم يكن من الهجائين المطبوعين على الهجاء[10]، إلا أنه وظف هذا الغرض الشعري المهم لتحقيق أهداف الأحرار والثورة على الطغاة. ولم يكن هجاء الزبيري هجاء شخصيا، وإنما هجاء سياسي للنظام القائم ورجالاته، وفي مقدمتهم إمام اليمن. فها هو في قصيدة (في محراب الإمام يحيى) يخاطب الإمام في مطلعها واصفا إياه بالظلم، كما وصفه بالنفاق، وأنه لا يبالي بآهات الشعب المظلوم، ولا فرق عنده بين هذه الآهات الموجعة وأنغام الموسيقى المطربة، وأنه في أفعاله يتطلب أن يكون شريكا لله أو أن يكون الله:

أيها الظـالم الذي يتباهـــى أنه ابن للوحي أو سبط طه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تتوخى بأن تكون شريك الله فيـهـم أو أن تـــــكـون الله
لا تبالي سمعتَ أنغامَ موسيقى تغنيك .. أو سمعتَ الآهـا
وإذا جئت للمصلّى رأيناك ...نفاقا – موحدا أوّاهـــا[11]

ولما كان الأئمة يستغلون نسبهم إلى علي بن أبي طالب . رضي الله عنه . فلهم حق إلهي في الحكم حسب معتقدهم الزيدي/ الهادوي، وعليه: فهذا الإمام عبد الله بن حمزة يذكر أن الإمامة مقصورة في ذرية الحسنين[12]. ويذكر أحد علماء الزيدية ومراجعها المعاصرين بدر الدين الحوثي:" أن الولاية بعد الرسول صلى الله عليه وآله للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام...ومن بعده لأخيار أهل البيت الحسن والحسين وذريتهما الأخيار، والولاية لمن حكم الله بها له في كتابه وسنة رسوله رضي الناس بذلك أم لم يرضوا، فالأمر إلى الله وحده، ولا دخل للشورى"[13]. نجد الزبيري يطعن في نسبهم الذي يخادعون به الناس، وكأنه يريد تفكيك هذه الفكرة من أذهان الشعب الذي يقدس الأئمة لنسبهم، يقول:

حاشا لله أن يكونوا لـــطـــه بل وحاشاه أن ينتموا ليزيد
لو يصح انتسابهم لعلـــيّ كـــرّم الله وجهه في الخلود
لاقشعرت دماءهم من حياءٍ وأبت أن تجري لهم في وريد[14]

ويهجو الزبيري الإمام يحيى بعد هدم بيت الشهيد زيد الموشكي، ويهدده بكل جرأة، ويقول:

أنشأتَ يحيى سنة التـــخريب فابشر بيومٍ للدمار قـريبِ
ستخرب الأيامُ هيكلك الذي رمّمته بجـــرائمٍ وذنـــــوبِ
وتحطّـــم التاج الذي كـــلّلْتـه بركام أنقاض، ودمع حريبِ
أنزلتَ باليمن المريضِ من الأذى ما أنزل الشيطانُ في أيـوبِ
كانت حياتُك محنةً عاشتْ بها قحطانُ بين مخالب ونيوبِ(15)

وهذه الأبيات في تلك الفترة تعد جرأة صارخة من الزبيري، فمن ذا الذي كان يجرؤ على مخاطبة الإمام باسمه؟ ومن ذا الذي يجرؤ على تهديده، ووصفه بالظلم، وأن حكمه مصيبة يعيشها الشعب؟. وهذا التخريب لم يكن . حقيقة . سنة أنشأها الإمام يحيى، وإنما هي عادة الأئمة منذ قدوم الإمام الهادي إلى اليمن، سطرها التاريخ، ومن ذلك أن الهادي وعسكره نزلوا قرية أملح، ونهبوا ما وجدوا فيها، وأقاموا أياما يخربون المنازل والآبار، ويقطعون النخيل والأعناب[16].

ولما خطب الإمام أحمد حميد الدين بعد عودته من روما إثر اندلاع أحداث ثورية في اليمن، وكان خطابه متوحشا، هدد فيه الشعب بقطع الرؤوس والأيدي والأرجل، جاء الرد من الزبيري بقصيدة عنوانها: (خطبة الموت) وصف فيها الإمام أحمد بالجزار، وتهكم من وعيده، وأنه لما صدئت مدية الإمامة التي يذبح بها الشعب، استعان بمدىً أجنبية بابويّة من إيطاليا:

خطبة الموت فاسمعوها وطيروا فرحاً وارقصوا لصوت المنيّه
أنتموا في استقبال موكب جزارٍ فمدوا رقابكم للتحيـــه
صدئت مدية الإمامة فاستَمنح إيطاليـا مـدىً بابــويّه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنـهـك الذبـح سيفـه فـأتـانا بسيوفٍ معارةٍ أجنبيه[17]

وفي توظيف فني بديع يقدّم الزبيري صورة للإمام أحمد، حين جعل روحه تمزج بين روح (نيرون) وروح (الحجاج بن يوسف) إيحاء بالظلم والطغيان والقسوة، يقول:

روح نيرون مازجت روح حجاج فـجـاءت أعجوبة في البليّه[18]

ويصور الإمام في صورة مخزية من أجل إثارة الشعب، وإيقاظه من غفوته واستسلامه لحكم الأئمة الطغاة، فقد صوره متسولا باسم الشعب . والتسول عمل مهين عند كل عربي حر . بل وليت الأمر اقتصر على هذه المصيبة، بل كان هذا الإمام يسرق الصدقات المقدمة من دول الغرب والشرق، ويتاجر بها، بينما شعبه يموت جوعا:

يتباكى تسولاً باسم شـــعـب أرضه بالكنوز ملآى غنيّـــه
يجمع المالَ للجياع فلا يُشبع ... إلا الخزائن المـصــرفيه
وهبات تصدق الغربُ والشرقُ ... بها في المجاعة الشعبيه
باعها لليهود تجّاره الأشـــرار في شـــرِّ صـفـقـة سرّيّـــــه
ويســـوقونها إليـه برومـــــا في رشاوى تفيـده أو هديـــه
يقتل الجوعُ شعـبَه وهو لاهٍ يشتكي للطليان ضعف الشهيه[19]

ويلح الزبيري . كثيرا . في شعره على المعاني الهجائية الثورية التي يسعى من خلالها إلى كشف زيف الأئمة وحكمهم المقدس في نظرهم. فهذه المملكة المتوكلية تستغل عاطفة الشعب الدينية، وتضرب على وتر إرث النبوة والنسب النبوي، والحق الإلهي؛ ولذا كان من أهداف الزبيري هدم هذه الأفكار ونقضها، فما هذه المملكة إلا عجوز، إشارة إلى قرب نهايتها بالموت:

ويا رُبّ مملكة كنتُ قد.. لـهوتُ بها وبـأصـحـابـها
تظن السماوات تعنو لها وتجثو خشوعاً لأحسابها
وأن النبوءة إرثٌ لـهـــا تتيه بها، وبألقابـــــهـا
وإنّا عبيد خُلِقْنا لـــهـــا لنبقى سجوداً بأعـتابـها
وليستْ بشيءٍ سوى إنها عجوزٌ تُجَنّ بألعابـــها[20]

ويخاطب الإمام مباشرة بكل صراحة وجرأة . وكأن الشاعر يريد أن يجرئ الشعب على النهضة والمقاومة . فيذكر عيوب الإمام ومثالبه:

فيا ملكاً لجّ في بطشـــه وداس البلادَ وأخنى بـــها
ودبّ لأمـته في الـظــلام دبيبَ اللصوص لأسلابها
وذرّ الـــــغبار بأجفانها وصب السمومَ بأعصابها
نهضتَ لـتخريب عمرانها وقمتَ لتحطيم ألبابـــــها
ووطّدت عرشك فوق القبور وأزعجتَ رمّة أصـحابـها
وشيدت مملـــكةً للفنـاء تقوم القيامةُ من بابـها[21]

ولكي يحطم الزبيري قدسية الإمام أمام الشعب، نجده يستخدم معجما واسعا من الألفاظ التي تُقَبّح مَنْ يتصف بها،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمرة بالطاغية والغول، نحو قوله مخاطبا الشعب:

وربطتم مصيركـــم بـــطـــغـــاة يـستنزلوكم لهول مؤكد

وجلبتم للشعب غُولاً يعيد الشعب للقهقرى عصوراً ويرتد[22]

ومرة يصفه بالمحتل، وحق المحتل أن يُقاوم ويُطرد، يقول:

نصف قرنٍ عشنا ينام بها المحتل ... في أرضنا كنوم الولـيد

هجّعاً كالفراغ لا يزعج المـــحتـلّ ... منّا غير السّراب البعيد[23]

وفي قصيده رثاء شعب يصف الإمام بالصنم والأفعى، وحق الصنم أن يحطّم، والأفعى أن يقطع رأسها؛ يقول

نبني لك الشرف العالي فتهـدمـــــه ونسحق الصّنمَ الطاغي فتبنيهِ

نقضي على خصمك الأفعى فتبعثه حيّاً، ونُشْعل مصباحاً فتطفيهِ[24]

ويصرخ الزبيري في النائمين بأبيات ملؤها العجب من حال الشعب مع الأئمة الطغاة، ويعرض مفارقات مؤلمة لموقف الشعب تجاه الإمام، ومقابلة الإمام لتلك المواقف، وهو بهذا يريد إيقاظ النائمين من غفوتهم من خلال تلك المواقف الغريبة، فحين يقدم الشعب ماله وروحه للإمام، يقابله الإمام بالاتهام، وحين يبني له الشعب عرش السيادة والحكم يبني لهم الإمام السجون، وحين ينحني له الشعب خاشعين، يَلْقون القيود في أقدامهم، وحين يضحي الأبُ بحياته للإمام يلقى أبناؤه بعده اليتم والضياع، يسرق شعبه ليموتوا جوعاً ويسمّن آله، يقول:

نُسْدي لـه أمـوالَـنا ونفوسَنـا ويرى بأنّا خائنون لـــئامُ

نبني له عرشاً يسود فيـبتنـي سجناً، نهانُ بظلّه ونضامُ

تحنو الرؤوس له خشوعاً ظلّعاً وتنوء من أصفادِه الأقدامُ

كم من أبٍ واسى الإمامَ بروحه ماتتْ جياعاً بعده الأيتـامُ

يمتصّ ثـروة شعـبه ويـميتـُه جوعاً، ليسمنَ آلهُ الأعلامُ[25]

ولم يغفل الزبيري وهو يسعى لتحقيق أهداف الأحرار، وينشد إيقاظ الشعب من أن يسلط الضوء على أعوان الأئمة من جند ومرتزقة ومنتفعين، فهم عيون الإمام الظالم الذي يراقب بها، ويده التي يبطش بها، ففي قصيدة (قيد جماعي) وصف الزبيري بعض الأحرار الذين شدت أعناقهم بالسلاسل، وطاف بهم زبانية الطغاة في الطرقات والشعاب، وصور الجند الزبانية وهم يطلبون الأكل من الأسرى، وذلك العسكري البليد، فقال:

وسار من خلفهم جندٌ زبانيـــة إذا أتوا خزيةً من أمرهم تاهـــوا

يستمنحون من الأسرى مآكلهم يا لؤم مَنْ راح يستجدي ضحاياهُ

والعسكري بليدٌ بالأذى فَطِـنٌ كأن إبليسَ للطغيـــان ربّـــاهُ[26]

ويعرض الزبيري صورة بشعة لجنود الإمام، وتعاملهم مع الشعب بالظلم والعدوان على أموالهم حتى وإن كانوا فقراء معدمين، ففي حوار تمثيلي بين امراة عجوز فقيرة وعسكري الإمام، يُظهر الشاعر فيه العسكري في صورة وحش ظالم أمام هذه العجوز التي تتساءل بكل ألم وحرقة:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يا رب كيف خلقت الجُند ليس لهم عندي طعامٌ ولا شاءٌ ولا نَعَمُ
ويلاه مالي أرى وحشًا وبـنـدقَـــه أذلك العسْكري الغاشم النهمُ؟[27]

ويأتي جواب العسكري الذي لم يرحم فقر هذه المرأة العجوز، ولم يحترم كبر سنها مفتخرا بأنه البطل المغوار، وجندي الإمام:

نعم أنا البطلُ المغوارُ جئتُ إلى عجوزةٍ لم يهذّبْ طبعَها الهـــرمُ
إنا جنود أمير المؤمنين فلـــمْ لا تذبحي الكبش يا حمقاء دونهمو؟
أين الدجاجةُ؟ أين القات؟ فابتدري إنا جياعٌ، وما في حيكم كـرمُ[28]

ولا ريب أن هذا الحوار التمثيلي قصد منه الزبيري إثارة الشعب ضد الإمام وأعوانه، فالعسكري الذي الأصل فيه أن يحمي الناس، ويحافظ على أموالهم، يعتدي على الفقراء، ويفخر عليهم بكل عنجهية وغلظة.

ويعرّض الزبيري ببعض الصحفيين المرتزقة ومن على شاكلتهم من المنتفعين بحكم الإمام، فيقول:

ومذبذبين تلـــوّنـــاً وتـــــرددا لعنتهمُ الحسناتُ والآثـــامُ
قلنا: ارفعوا الأسواط عن أجسادكم قالوا: لنا لوم الإمـام أثـامُ
تالله مـابـــهـمُ الإمـــــام، وإنـمـا وُلِعوا بسَوْط المستبدِ وهاموا
باعـــــوا الضمائر للمهانةِ مثلما تُبتاع للحمْل الثقيل سَـــوامُ
لا يـحـسبون الـــدين إلا أنـــه عند الأمير دراهمٌ وطعـــامُ[29]

فهؤلاء المتلونون المذبذبون باعوا ضمائرهم للهوان والمذلة، وهاموا بسوط الطغاة فلا يريدون رفعه عن ظهورهم، وكأن الحرية ورفع الظلم إثم عظيم.

سيُحاسبون فقد دنا لـحسابـهـــم يومٌ يسوء الخائنين ظلامُ
وسـيـنـدم المتزلـفـون نـدامـة الـــــ ـوثني يومَ تُحطَّم الأصنامُ[30]

ويختم الزبيري قصيدته بتهديده لهؤلاء الخونة المتزلفين فيقول:

ويوجه الزبير سهام شعره الثوري إلى تلك الفئة من الشعب المنتفعة من حكم الأئمة، والذين وجدوا أنفسهم في محراب الوثنية الإمامية؛ ليكشف زيفهم وجرائمهم أمام الشعب، فهم شركاء الطغاة، إذ يزينون جرائمهم، ويخفون عيوبهم، يقول:

وانثروا فوق خطى السفّـاك .... أزهـــــــــاراً ووردا
حـــوّلوا الآهاتِ والأنـــات ... أشواقـــــــــاً وودّا
صـــــــــوّروا العلقَم من ... سلطته منّاً وشُـــــهدا
وازعمـــوا المنتنَ من سمعته ... مســـــــكاً ونـــدّا
واجعلوا كلَ دمٍ يسفـــكـه ... فـــخراً ومـــجـــدا
واصنعوا من لعنة الشـــعب ... له شكـــراً وحمـــــدا
واسدلوا من حُجُب التضليل ... في عينيه ســـــدّا[31]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسعياً من الزبيري في إثارة الشعب وتحريضه على الثورة ومقاومة المستبد، ينظم قصيدة (لا تحرقونا بناركم) شعاراً من شعارات العبيد، تهكما على لسان من ارتضى بالواقع المؤلم الذي يعيشه اليمني تحت وطأة الطغاة:

دعونا ولا تقربوا جَمْعنا ولا تحرقونا بنيرانـــكـــم
رضينا بأنّا عبيد الإمام وإنّا كما شاء عميٌ وصمٌ
نكبلُ أقدامنَا بالقيـــود ونعقل أفواهنا باللّـــجُم[32]

والشاعر. هنا . ينتقي ألفاظه بعناية لتخدم فكره الثوري التحرري، إذ لا يوجد إنسان سويّ يرضى بأن يوصف بالعبد، أو الأعمى والأصم، أو أن تكبّل أقدامه بالقيود، وفمه باللجام كالحيوانات.

وتزداد نبرة الزبيري حدة في مواجهة هذا النوع من الشعب، لعله يستيقظ ويتحرك، فيقول على لسانهم:

وهبنا الـــحياة لأوثـــانـــنا ونبض القلوب ونور البصر
فما نبتغي من شعاع الشموس؟ وما نرتضي في ضياء القمر؟
وفي الحشرات.. لـــنا أســـوة تزهدنا في حياة البـــــشر
وفي عالم الدود عيش هنـــيء هبطنا إلى مستواه الأغـــر[33]

هنا الشاعر لا يريد مجرد الهجاء والذم لهذه النوعية من الشعب، فليس الهجاء المجرد مطلبا عند الزبيري، وإنما هو . هنا . يمازج بين الذم السياسي وإيقاظ الشعب وتثويره، من خلال هذا التصوير البشع المنحط لحياتهم، حين وهبوا حياتهم لهذا الإمام الوثن الذي حقه عند كل مسلم حر شريف التحطيم، كما حطم رسول الله الأوثان. وارتضوا بحياة الجاهل والظلام والتخلف كما ارتضوا بحيات كحياة الحشرات والدود.

ويستنكر الزبيري على لسان هؤلاء العبيد الذين ارتضوا بحياة العبودية، فيقول:

تريدون ويحَكـمُو... أن نثـور وما نحن إلا كدود القبور[34]

ويلح الزبيري . كثيرا . في مخاطبة الشعب والعمل على إثاراته وإيقاظه بهدوء أحيانا وبقسوة في أحاين أخرى، ففي قصيدته (هل يخاف الشعب من نفسه؟!) يتعجب من حال هذا الشعب الذي يخاف من نفسه! ويتعجب من هذا الشعب الذي يأبى فراق الذل بخضوعه لحكم الأئمة المستبدين، ومن هنا حق للطغاة أن يفرحوا ويبطشوا ويتحكموا:

أشعبٌ يخاف الشعب..؟ فليهبطوا إذاً
جهنـــمَ أو تهـــــبط عليهم جـــهـنمُ
أيـــأبى فـــراقَ الذل شعبٌ..؟ فهلّلوا
إذاً يـــاطـــغـــاة، وابطشوا وتحكمـوا[35]

ويخاطب الزبيري قومه مباشرة، داعياً إياهم إلى الثورة والكفاح والنضال ضد الأئمة القساة، الذين لا يردعهم في تعاملهم مع الشعب لا دين ولا خلق، مستخدما القسوة في مخاطبتهم، فلعل القسوة تحركهم وتثير مشاعرهم، فالحاكم الطاغية ذئب ضار أمام شعب مسالم كالأغنام:

يا قوم هبوا للكفاح وناضلـــوا إن المنام عن الذّمام حرامُ
تستسلمون إلى قُساةٍ مالهـــم خُلُقٌ، ولا شرعٌ، ولا أحكامُ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لن يبرح الطغيان ذئباً ضارياً مادام يعرف أنكم
أغنـــامُ[36]

ولم يكن بوسع الزبيري أن يكون رقيقا في إيقاظ الشعب؛ إذ كان سباتهم سباتا عميقا[37].

ويواجه الزبيري الشعب بكل صراحة، إذ ليس أمامه إلا الموت أو الحياة حرا، وإن رضي حياة الذل والسجن الكبير/ الوطن تحت حكم الأئمة المستبدين فهو لا يساوي سجّانه:

لِنَمُت أو نعش على الأرض أحراراً ولا عاش من يستسيغ الإهانه
إن شعباً يرضى الحياة سجـيـــناً لا يساوي . في قيمةٍ . سجّانه
وحياةً تصان بالهـــوان والإذلال ليست خليقة بالصيـــــانه[38]

ويلفت الزبيري أنظار الشعب إلى أن الشعوب الحرة أبادت أوثانها، ودفنتها تحت الثرى، وانطلقت حرة، وانتهى عصر الذل، وانقرضت الشعوب الذليلة المهانة، وهو بهذا يهدف إلى إشعال روح الثورة في نفوس الشعب، فهو إما أن يستيقظ ويثور على الطغاة، أو سيكون مصيره الفناء والزوال، يقول:

كلُ شعب محى أساطيره الســـود ووارى تحت الثرى أوثـــانه
قد تلاشت كل العصور الذليلات وبادت كل الشعوب المهانه[39]

وفي سياق التحريض وإشعال الثورة في نفوس الشعب يستعين الزبيري بالتاريخ، ويذكّر شعبه بأمجاده التاريخية العظيمة، وبواقعه المؤلم تحت حكم الأئمة المستبدين، لعله من خلال هذه المقارنة يستثير الناس؛ ليعيدوا أمجادهم التي تبدأ من الثورة على الظلم والواقع المرير الذي يعيشونه تحت حكم الأئمة الطغاة:

أبناءُ قحطان عبيدٌ بـــعد مـــا عبدتهمُ الزعماءُ والـــحكامُ
كانت سيوفهم تـــؤدب كـــلَّ جبار، بغير السيف ليس يقام
كانوا الأباةَ وكانت الدنيا لـــهم والملك والرايات والأعـــلام
نزلوا بيثربَ والعراق فشيـــدوا ملكاً كبير الشأن لـــيس يرام
وهم الأولى اقتحموا على أسبانيا أسوارها، فتحكموا وأقـــاموا[40]

وبعد أن ذكّر الشاعر قومه بأمجاده، يتساءل ماذا جرى لهم في هذا الزمن الحاضر؟

إنهم يعيشون الجهل، والظلم، والأمراض، والجوع، والخوف، مقيدة أرجلهم، ملجمة أفواههم تحت حكم الإمام:

ماذا دهى قحطان؟ في لحظاتهم بؤس، وفي كـــلماتهم آلام؟
جهل وأمراض وظلم فـــادح ومخافة ومجاعة وإمـــــام؟
والناس بين مُكبّل في رجـــله قيدٌ، وفي فمه البليغ لـــجام
أو خائف، لم يدر ما ينتـــابه منهم، أسجن الدهر، أم إعدام؟
والاجتماع جريمة أزلـــــية والعلم إثم، والـــكلام حرام[41]

ولا يترك الزبيري أي مناسبة إلا ويوظفها لإثارة الشعب وإيقاظهم كما في قصيدة (في حفلة العلم)، إذ وصف واقع الآباء والأجداد مع تجهيل الأئمة المستبدين لهم، وظلمهم واستعبادهم، يقول:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علّموا النشء في الحياة الصعودا واخلقوهم بالعلم خلقاً جـــديدا
وابعثوهم من وَهْدةٍ قبع الآبـــــاء فـــــــيها دون الأنام رُقودا
قنعوا بالأحلام حيناً من الـــــدهر فبـــــــادوا وخلّفــوا عبيدا
لم نجد مذ جئنا إلى الأرض إلا الجهلَ والليلَ، والظلام الشديدا
ما نرى في الظهور إلا سياطَ العسف أو في الأقدام إلا القيودا[42]

وسياسة تجهيل الشعب كانت سياسة إمامية اتبعها الأئمة في اليمن، ويدل على هذا بجلاء رسالة العلامة أحمد بن محمد زبارة إلى شاعر الثورة الزبيري؛ ينصحه بعدم العمل على تحسين أوضاع القبائل، وترك تعليمهم وإدخال الوسائل الحديثة وبناء المدارس والمستشفيات، وأنه يكفي في تعليم أبناء القبائل فروض العبادة فقط، والأفضل أن يبقى القبيلي فلاحا لا يحتاج إلى نعال ولا ملابس ولا علاج...[43].

وقد أشار الزبيري في كتاباته النثرية إلى محاربة الأئمة كل مظاهر العلم والمعرفة، وقفل أبوابها أمام الشعب، وفي سجن كل مواهبه وملكاته[44].

وفي سبيل تثوير الشعب، وحضّه على الثورة، وتغيير واقعه المزري يتجه الزبيري إلى تصحيح بعض المفاهيم المغلوطة التي يشيعها الأئمة وكأنها من الدين، استغلالا منهم لتدين الشعب الفطري، يقول:

يستغل الإسلام حتى كأن الديـن ... يبدو كسلعةٍ أحمديـــّه
ليس في الدين أن نقيم على ضيم ... ونُحني جباهنا للدنيّـه
ليس في الدين أن نؤله طغيانـــاً... ونعنو للسلطة البربريــه
ليس في الدين أن تقدس جلّاداً ... ويمناه من دمانا رويـــّه
ليس في الدين أن نكون بلا رأي ... ولا عزة ولا حريّـــه[45]

ومن ملامح الثورة في شعر الزبيري أنه سلط الضوء على العصبية القبلية والمذهبية عند الأئمة، التي استغلوها منذ القديم في بسط نفوذهم على اليمن وإخضاع الشعب لسلطتهم وحكمهم، إذ التقديم والإمامة والحكم لا تكون إلا في ذرية علي بن أبي طالب . رضي الله عنه . حسب معتقدهم الزيدي . فهذا إمامهم عبد الله بن حمزة ينسب للرسول . صلى الله عليه وسلم . حديثا مكذوبا في أهل البيت:" قدموهم ولاتَقَدّموهم، وتعلّموا منهم ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، ولا تخالفوهم فتضلوا، ولا تشتموهم فتكفروا."[46]، ويرهب الأئمة الناس في مسألة المساواة، حيث يزعمون تميزهم عن غيرهم وتفوق جنسهم ، حتى نقل إمامهم حميدان القاسمي عن الإمام عبد الله بن حمزة قوله:" ولا يرد الحوض إلا من خلصت مودتُه لهم، ولا تخلص مودة من أنكر فضلهم، وجحد حقهم، وساوى بينهم وبين غيرهم."[47]، وأمام هذا التلاعب بالدين وتحريفه، وادعاء الأكاذيب المذهبية من أجل السلطة نسمع الزبيري يصرخ في وجه الطغاة ليحطم هذه الأفكار:

أرضُنا تلعنُ الطّغاةَ الأولـــــى سادوا علينا بالفرقة المذهبيّهْ
أرضنا حِميَريّة العرق، ليست أرض زيديّةٍ ولا شـــــافعيّه
وبنو هاشم عروق كريمات لنا من جـــــذورنا اليعربيـه
إنهم إخوة لنا غير أســـياد علينا في عنـصر أو مزيـه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمزايا في الشّعب للبعض دون... البعض سمّ الأخوّة القوميّهْ
وعدوّ الجميع من يحكم الشّعب باسـم القداسـة العائليّهْ[48]

والزبيري يلح على كشف زيف هذه الأفكار، ويكرر الحديث عن خطرها على الجميع حتى في كتاباته السياسية النثرية، بل يرى أن هذه النزعة العنصرية أخطر شيء على الهاشميين، وعلى مستقبلهم في اليمن أو غيره[49].

ويبرز الزبيري داء المذهبية المهلك الذي ينفخ فيه الأئمة في الحوار الذي دار بين (العجوز وعسكري الإمام)، فالعجوز تتساءل بكل مرارة ماذا يريد منها جند الإمام وعسكره، وهي المرأة الفقيرة المعدومة أيريدون زكاة الأرض؟ أم جزية الكوخ؟:

ماذا يريدون من جوعي ومسغبتي إني لكالحمل المشويّ بينـــــهمُ
يطلبون زكاة الأرض؟ ليس بـــها إلّا الحمام وإلّا الحجر والـــرخمُ
أم جزية الكوخ لا كانت جوانـــبُه السوداء ولا نهضت في ظلّه قدمُ[50]

وفي اختيار الشاعر للفظة (الجزية) وما تحمله من دلالات شرعية فقهية محاولة منه إثارة الشعب وإيقاظه، فهؤلاء الأئمة لا يتعاملون مع شعبهم كما هو الواجب في التعامل بين الراعي والرعية، وإنما يتعاملون معهم كما يتعاملون مع أهل الذمة من اليهود والنصارى.

وهذه المسألة ليست حادثة جديدة، وإنما سجل تاريخ الأئمة الأسود حوادثاً ضرب فيها الإمام الجزية على المواطنين المسلمين إذا خالفوه، كما فعل الإمام الحسين بن القاسم العياني لما ضرب الأخماس على أهل صنعاء وغيرها، والثلث في الحبوب وغيرها، وإلا حكم عليهم بحكم اليهود في ضرب الجزية...[51].

وكما أبدع الزبيري في اختيار لفظة (الجزية) أبدع في تصوير الواقع المذهبي المرير تحت حكم الأئمة حين قال على لسان عسكري الإمام:

إني إذن راجعٌ للـــكوخ يا (شافعية) إن الكذب دأبكمو[52]
أهـــــدمه

فهذا العسكري الجاهل لم يختر لفظة (شافعية) إلا لأنها راسخة في ذهنه، وتشكل عنصرا مهما في طريقة التعامل مع الشعب، استمد كل ذلك من فكر الأئمة المستبدين الطائفيين الذين توارثوه منذ قدوم الإمام الهادي إلى اليمن عام 286هـ، فهذا الإمام عبد الله بن حمزة يحكي موقف الأئمة الزيدية من المخالفين لهم في العقيدة في سياق الموافقة والتأييد والاستشهاد بموقفهم، إذ ذكر أن الأئمة لا يختلفون في جواز غزو القدرية والجبرية ليلا ونهارا، وخطف ذراريهم سرا وجهارا، وبيعهم في الأسواق[53].

ومن ملامح الثورة المهمة في شعر الزبيري الإعلان الصريح والمباشر برفض حياة الذل تحت حكم الطغاة، ومضيه في طلب حياة العز والكرامة حتى لو مات جوعا فلن يقبل الفتات من أيدي قتلة الشعب:

سأمضي ... عنيداً فلا أنثني وأحيا كريماً فلا أنحني
وأرفع نحو السما جبـــــهتي كما ارتفعت جبهة المؤمن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أموت خميصاً! ولا أقبل الفتات ...من القاتل المـــــحسن
فلا نبضت نخوة في دمـــــــي ولا عزّني شرف الموطن
إذا حِدْتُ عن مبدئي أو رضيتُ بعيش من العار مستهجـن[54]

وفي قصيدته (الخروج من اليمن السجن الكبير) كانت نبرة الزبيري عالية، ومتحدية للواقع وحكامه، وكانت بداية الانعطاف الكلي في الشعر نحو الوطن[55]، يقول فيها:

خرجنا من السجن شم الأنوف كما تخرج الأسد من غابها
نمرُّ على شَفَرات الســـيوف ونأتي المنية من بـــــابها
ونــأبى الحـــــياة، إذا دُنِّسَتْ بعسْف الطغاة وإرهـــــابها
أَنِفْنا الإقامــة فـي عُـــــصْبَةٍ تُدَاس بأقدام أربـــــــابها[56]

ويصرخ الزبيري في قصيدة (كفر وإيمان) بكل صدق ومباشرة بأنه لن يهادن الطغاة، أو يؤيد حكمهم ولو ساعة واحدة، يقول:

كــفرتُ بعزمتي الصامــده وقدسية الغضبة الحاقده
إذا أنا أيدت حــكم الطـغاة وهادنتهم ساعة واحـده[57]

وقد صدق الزبيري في قوله فمنذ بدا العمل في الثورة على الظلم والاستبداد لم يرضخ، ولم يتنازل مهما واجه من صعوبات كالسجن والنفي والغربة، حيث ألغى المسافة بين القول والعمل[58]. وكان من الشعراء الذين يرتقي شعرهم إلى حجم نضالهم[59]، فها هو في أول اجتماع عام لحزب الأحرار اليمنيين يسجل هذا الحدث التاريخي بقصيدة (صيحة البعث)، ومطلعها:

سجّل مكانك في التاريـخ ياقـــلم فها هنا تبعث الأجيال والأممُ[60]

ويعلنها ثورة صارمة ضد الطغيان والظلم، ثورة أبطال العروبة والإباء، ثورة الصورام الثائرة من أغمادها، والأسود في غاباتها، ثورة البراكين التي تكتسح الطغاة وتلتهمهم، إنها ثورة الشعب الذي تفلّت حُرّا من أغلال الظلم...، يقول في هذه القصيدة الثائرة:

هُـــنا العـروبة في أبطالها وثبت هُنا الإباء، هُنا العلياء، هُنا الشيمُ
هـــــنا الصوارم من الأغماد ثائرة هنا الضياغم في الغابات تصطدم
هُــنا البراكين هبَّتْ من مضاجعها تطغى، وتكتسح الطاغي، وتلتهـمُ
لســنا الألى أيقظوها مــن مراقدها الله أيقظها، والسخطُ، والألـــــمُ
شعبٌ تفلت من أغـــــلالِ قاهرِهِ حُراً فأجفل عنه الظُلْم والظـّلَمُ[61]

وكان لهذه القصيدة أثرها القوي في الشعب، وتداولها الناس، وأصبحت معلما من معالم التاريخ اليمني الحديث[62].

وفي أحلك الظروف وأصعبها، وهو مطارد في الهند بعد مصرع الثورة عام 1948م نجد الشاعر ثابتا، ثائرا، يطلق حمماً شعرية ضد الطغاة، وينصب نفسه محاميا عن الملايين المظلومة أمام طغاة الأرض:

علتْ روحي همومُ الشعبِ وارتفعـــتْ بها إلى فوق ما قد كنتُ أبغيـــــهِ
وخـــــــــوّلتْني الملايينُ التي قُتِلتْ حقَّ القِصاص على الجلاّد أَمْضِيهِ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عندي لشرِّ طغاةِ الأرضِ مـــــحكمةٌ شِعري بها شرُّ قـــاضٍ في تقاضيهِ
أدعو لها كلَّ جبّارٍ، وأســـــحـــبـــهُ من عرشه تحت عبءٍ من مـساويهِ
يحني ليَ الصنمُ المعبـــود هامـــــتَهُ إذا رفعتُ له صـــــــــوتي أُناديهِ
أقصى أمـــــانيه منّي أن أُجـــــــنّبَهُ حُكْمي، وأدفنه في قبـــــر ماضيهِ
وشرُّ هولٍ يلاقـــيه، ويســـــــــــمعهُ صوتُ الملايينِ في شعري تُناجيهِ[63]

ويخاطب الشاعر . متعجبا ومحرضا . ذلك المواطن البائس الجائع إلى متى ترضى بهذا الذل والشقاء الطويل؟ متى تثور في وجه الطغيان؟:

أيها البائس الخميص! متى تنهض من كـــــــبوة الشـــقاء المديدِ[64]

الشاعر هنا يستخدم أسلوب الإنشاء؛ ليحرك مشاعر هذا المواطن البائس، ويثير انتباهه لواقعه المؤلم، وهذا أحد الملامح المهمة في شعر الزبيري الثوري.

وفي معنى ثوري آخر يخاطب الزبيري (صنعاء)، متعجبا من حالها، كيف رضت بهذا الظلم الذي رسخت آثامه فيها؟ وكيف وسع صدرها للطغيان يعبث فيها كما يهوى ويريد:

صنعاء ويحك ما للظلم قد رسخت آثامه فيك, واستشرت خطاياه؟
وسّعْتِ صدرك للطغيان يصنع ما يهوى، وعينُك تحميه وترعاه[65]

فالشاعر لا يريد وصف الواقع كما هو وكأنه مرآة تعكس الحقيقة، وإنما أراد من هذا إثارة مشاعر الشعب؛ ليثور على هذا الواقع المرير، ويغير حاله.

ومن الملامح الثورية المهمة في شعر الزبيري أن ثورته كانت ثورة شعب بأكمله، وليست ثورة حزب أو منطقة أو مذهب، ولذا فهو يشجع كل تحرك ضد الطغيان والاستبداد الإمامي الرجعي، ومن هنا نجده يرصد لنا انتفاضة (خولان الطيال) القبيلة اليمنية الباسلة في قصيدته (بوادر ثورة) :

الملايين العطاش المشرئـــــبهْ بدأت تقتلع الطاغي وصحـبهْ
ها هو الشعب صحا من خطبه بينما الطغيان يستقبل خطبه[66]

والتفاؤل ملمح ثوري في شعر الزبيري، ففي أعقاب ثوره 1948م، اكتسحت اليمن موجة من اليأس، و كع الشعب أمام الطغاة. لكن الزبيري المؤمن بقضيته، والواعي بأحداث التاريخ وسننه يعلم أن طريق النضال والكفاح طويل، وأن الحرية مهرها ثمين، فيكتب قصيدته (شعب متربص)، ويقول فيها متفائلا أو مستشرفا المستقبل القريب:

ألمح الشعب قابعاً يدرس الثورة.... كيما يأتي بأخرى جديده
يتحرى الأخطاء ويغفر للأحرار... أخطاءهم ليبقوا جـــنوده[67]

ويبلغ التفاؤل منتهاه عند الزبيري حين يعلن صراحه بإيمانه بالشعب، وقدرته على النضال وتحقيق الحرية، حتى وإن رآه الناس جثة هامدة، أو هوى على ركبتيه أمام الطغاة:

وآمنتُ بالشـــــعب حتى وقد رآه الورى جثةً هامـــــده
وآمنتُ بالشعب يوم أمام الطغاة على ركبتيه[68]
جـــــثا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعلن الزبيري إيمانه بالشعب الذي سينهض غاضبا على الخونة والظلمة، وأن الرجل الواحد من شعبه يعدل رجالا همّة وبلاء وتضحية، يقول:

آمـــنت أن لنا حقّـــا وأنّ لـــنا شعبا سينهض من كابوسه الطامي
وأن فـــي ظـــلـمات الغيل مأسدةً غضبى على كل خوانٍ و ظلّامِ
وأن فـــي الـــشعب أبطالا وأن قوماً يُعدّ الفتى منهم بأقـــوامِ[69]
به

ولأن الحرية تجري في عروق الزبيري، والثورة على الظلم والطغيان هدف أساسي في حياته، وإيقاظ الشعوب من الغفوة والاستسلام مطلب سام عنده، نجده يشارك بشعره الثوري الإيقاظي في حركات الثورة والمقاومة في البلدان العربية والإسلامية، لكنه لا يغفل عن قضيته الأولى وهدفه الأعلى وهو ثورة شعبه اليمني، فها هو يشارك المصريين في ثورتهم، وينظم قصيدته (يوم الجلاء) إلى شهداء الحرية في كل مكان، ويجعل من ثوار مصر قدوة لثوار اليمن، فيقول:

أيها الثائرون في مصر ثوروا، كل يوم وعلمونا الـــــــــفداء
قد قبستم في الصخر روحاً، وفي الثلج سعيراً وفي الغيوم ضياء
سوف نمحو الأصنام حيث وجدناها، ونلـــــــغي وجودها إلغاء
سوف لا نخفض الرؤوس من الذل، ولا نذرف الدموع بـــــكاء
سوف لانستـــــجدي حـــقوقـــاً، ولا نشكو سياطاً ولا نداري داء
إننا نأخذ الحقوق ولن نقبـــــلها، منـــحة، ولا اســـــــتجداء[70]

وفي قصيدته (استقلال الهند وباكستان) يستغل الزبيري بروحه الثائرة هذه الفرصة ويطعم قصيدته ما يثير الشعوب المظلومة، ومنها شعبه اليمني الرازح تحت ظلم حكم الإمامة الرجعي، يقول:

هكذا تبلغ الشعوب مـــــناها ويفوز الغادي إلى آماله
وهو سلوى لكل شعب مهان مستضام يئنّ في أغلاله[71]

ويلقى القارئ روح الثورة في قصيدة الزبيري (ميلاد جناح والقضية الباكستانية) التي نظمها في ذكرى ميلاد الزعيم الباكستاني محمد علي جناح، فهو وإن كان بعيدا عن وطنه، غريب الوجه واليد واللسان، وفي مناسبة بعيدة عن هموم اليمن وشعبها المظلوم، إلا أنه نظم هذه القصيدة وهو ينظر بعينه وروحه إلى شعبه يريد منه الإفادة من ثورات الشعوب الحرة، وهذا يؤكد ما ذكره عبد الله البردوني أن الزبيري في اغترابه موصول الوجدان بالبلاد وقضيتها[72]، يقول:

أمم الأرض لا يرقعها الراقعُ ترقيعَ ثوبـــــه، وكـسائـــــهْ
ومصير الشعوب كالحق لا يبنيه بانٍ بوهمه، وادعـــــائه
والملايين لا تعيش على الشك، ولا تستقر فـــــوق هبائه
مـرجل العشب لا يبالي إذا جاش، بأقطابـــه، ولا زعمـــائه
وشعور الجمهور، أقوى من العقل، ومن حكمه، ومن حكمائه[73]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويشارك الزبيري الشعب العراقي في ثورته، ويخاطب الثورة أن تزحف كالطوفان إلى اليمن:

صيحة الشعب .. في بلاد الرشيد أشعليها ناراً وثوري وزيدي
ازحفي كالطوفان يا ثورة الشعـب إلينا ودمدمي كالرعـــود
طهّري جوّنا من الموت والصمت وهزّي لنا بقـايا لـــحود
إخوة نحن في القيود فهـــــيّا لـنكن إخوةً بخلع القـــيودِ[74]

ويوظف الزبيري موضوع الرثاء، ويحوله من موضوع ذاتي الى موضوع أعم وأسمى، وذلك حين يربطه بالثورة ومقاومة المستبد، ومن ذلك قصيدته في رثاء زوجة صديقه في درب النضال أحمد محمد نعمان، الذي اختار لها عنوانا معبرا: (طليعة الشهداء)، فلفظ الشهيد له إيحاؤه المؤثر في النفوس. فهذه المرأة وان ماتت على فراشها، إلا أنها شهيدة لكفاحها وألمها على فراق زوجها حين فرّ من بطش الإمام إلى عدن.

ويفتتح الزبيري قصيدته الرثائية بمخاطبة صاحبه الحزين على فراق زوجته مذكرا إياه بأنه في معركة وجهاد ولا يجوز فيها البكاء، وأن الأمة علقت آمالها به:

كفكفْ الدمع، واعتصمْ بالـعزاء ليس في الحرب فرصة للبكاءِ
قد تصّديتْ للجهاد فلا تأبـــــه ... لنَبْلٍ يأتيك في الهيـــــجاءِ
أنتَ للأمة التي علّقتْ فيــك عظيمَ المنى، كبيرَ الرجاء [75]

ويخاطب صاحبه بالمضي في درب الكفاح، ويذكره بمصير أمته التي تعاني الفناء، فيقول:

فامضِ يا قائد الشباب إلى الحق ولا تكتئب مـــــن البأســاءِ
وتذكّرْ مصير أمتك الـــــكـبرى ... على هُوّة الردى والفناءِ[76]

ولا يفوت الزبيري الفرصة في قصيدة الرثاء، فينال من الإمام ويصف قلبه بالقسوة، ويصور كفه وهو يحفر للشعب قبورهم، هذا الشعب الذي لم ير النور في ظل حكمه:

كم يظل (الإمام) يحـفر للـــــناس ... قبورا بكـــفه الشّـــــلاَّءِ
كم تقاسي البلادُ من قلبه القـاسي ... وتلقى في ظلّه من شقاء
ثلث قرن لم يبرح اليمن الميمــون ... مـــــنه في ليلة ليـــلاءِ[77]

ويستثمر الزبيري رثاءه القاضي يحيى الإرياني، فلا يقتصر على بكائه وتأبينه والإشادة بعلمه وعدله ونزاهته، وإنما يغمز رجالات القضاء في حكومة الإمام، وهذا ملمح مهم يريد الزبيري نشره بين الشعب، وينبه الغافلين عنه، يقول:

نزّهتَ كفك عن سُحتٍ قد انغمستْ فيه الأكفُّ الأثيماتُ المشاهيرُ
يرون قـطع يمين اللـــصِّ جائعةً وحظُّ أيديهمُ لـــثمٌ وتوقـــيرُ
ذنبُ الصّعاليكِ مخزاةٌ ومعـــصيةٌ وذنبهم فيه تهلـــــيلٌ وتكـبيرُ
لا يُؤخذون بما غلوا وما اختلسوا كأنما العلـم للإجرامِ تبـــريرُ[78]

ولئن كان ما سبق رثاء أفراد، فإن الزبيري إثر مصرع الثورة اليمنية الدستورية عام 1948م، ينظم قصيدة باكية في (رثاء شعب)، فيقول:

ما كنتُ أحسِبُ أني سوفَ أبكيهِ وأنّ شِعْري إلى الدنيا سينعيهِ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأنني سوف أبقى بعد نكـــــبتهِ حيّاً أُمزّق روحي في مراثيــه [79]

وفي هذه القصيدة يستثمر الزبيري هذا الحدث الحزين المؤلم لنصرة قضيته وقضية كل الأحرار في اليمن، وهي مواجهة الفساد والثورة على الأوضاع السائدة، وإيقاظ الشعب من غفوته، وتحريضه على حكم الأئمة الظالمين، فها هو يخاطب الشعب بكل صراحة:

ياشَعْبَنا نصفَ قرنٍ في عبادتــهمْ لم يقبلوا منكَ قُرباناً تُؤدّيهِ
رضيتَهُمْ أنتَ أرباباً وعشتَ لـــهم تُتيلُهم كلَّ تقديسٍ، وتَأليــهِ
لم ترتفع من حَضيض الرقِّ مرتبةٌ ولم تذق راحةً مما تقاسيهِ[80]

وواضح هنا إبداع الزبيري في اختيار مفردات (عبادتهم، قربان، أرباب، تقديس، تأليه، الرق) وتوظيفه لها من أجل استثارة الشعب وتهييجه ضد حكم الأئمة الطغاة، فالإنسان الحر لا يقبل أن يعيش عبدا ذليلا يؤله غيره ويقدم له القرابين.

وهكذا يستمر الزبيري في قصيدته هذه الرثائية التحريضية الثورية، يعاتب الشعب، ويدعو إلى مشاركة الأحرار في الثورة، يقول:

ولا أصختَ إلينا معشراً وقفوا حياتَهم لكَ في نُصحٍ وتوجيهِ
نبني لك الشرفَ العالي فتهدِمُه ونَسْحَقُ الصَّنَمَ الطاغي فتبْنيهِ
فامْدُدْ يديكَ إلى الأحرارِ متّخذاً منهمْ ملاذَكَ من رقٍّ تُعانيهِ[81]

الخاتمة:

سعى هذا البحث إلى الوقوف على أهم ملامح الثورة والمقاومة والإيقاظ في شعر محمد محمود الزبيري. وقد تبين أنه كان شعرا ثوريا في معظمه، حيث ظهرت معاني الثورة في مختلف الموضوعات، إذ وظف الهجاء السياسي للأئمة وأعوانهم من أجل الثورة، واستعان بالتاريخ المجيد لأهل اليمن، وسلط الضوء على واقعهم المرير، كما وظف شعر المناسبات، وقضية العنصرية والمذهبية في تحقيق أهداف الأحرار وإيقاظ الشعب.

كما كان الإعلان الصريح في رفض حكم الأئمة والعيش تحت حكمهم الظالم أحد الملامح المهمة في شعره الثوري.

وهكذا استطاع الشاعر أن يوظف التفاؤل والوطنية والشعر القومي، والرثاء في قضيته الأولى ضد الأئمة في اليمن.

---

(1) انظر: عمر بن علي الجعدي، طبقات فقهاء اليمن وعيون من أخبار سادات الزمن، تحقيق: فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، ط1، 1958م، ص 75، 79.

(2) انظر: عبد الفتاح البتول، خيوط الظلام عصر الإمامة الزيدية في اليمن، مركز نشوان الحميري للدراسات والنشر، اليمن، ط1، 1428هـ، ص 354.

(3) انظر: موقع التحالف اليمني لرصد انتهاكات حقوق الإنسان، http://ycmhrv.co/

(4) فائز العراقي، شعر الانتفاضة في البعدين الفكري والفني، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ط1،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1998م، ص 65.

(5) انظر: أيمن تعيلب، قصيدة الثورة في الخطاب الشعرى المعاصر: جدل الشعر والسلطة، دار العلم والإيمان، كفر الشيخ . مصر، ط1، 2011م، ص 56.

(6) انظر: رياض القرشي، شعر الزبيري بين النقد الأدبي وأوهام التكريم، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ط1، 1990م، ص10.

(7) انظر: أحمد الشامي، مع الشعر المعاصر في اليمن: نقد وتاريخ، دار النفائس، بيروت، ط2، 1406هـ، ص 23.

(8) انظر: زيد الوزير، دراسات في الشعر اليمني: القديم والحديث، مجلس التراث والبحوث اليمني، اليمن، ط 2، 1991م، ص 150.

(9) انظر: عز الدين إسماعيل، الشعر المعاصر في اليمن: الرؤية والفن، دار العودة، بيروت، ط2، 1986م، ص12.

(10) انظر: عبد الله البردوني، من أول قصيدة إلى آخر طلقة، دار البارودي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1997م، ص 198.

(11) محمد محمود الزبيري، الأعمال الشعرية الكاملة، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ، ص 340.

(12) انظر: عبد الله بن حمزة، مجموع رسائل الإمام عبد الله بن حمزة، تحقيق: عبد السلام بن عباس الوجيه، مؤسسة زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ط1، 1422هـ، ص 444.

(13) انظر: بدر الدين الحوثي، إرشاد الطالب (ضمن مجموع الرسائل والردود الفقهية)، ط1، 1437هـ، ص 240.

(14) محمد محمود الزبيري، الأعمال الشعرية الكاملة، ص153- 154.

(15) المصدر السابق، ص 422.

(16) انظر: علي بن محمد العلوي، سيرة الامام الهادي إلى الحق يحيي بن الحسين، تحقيق: سهيل زكار، بيروت، 1392هـ، ص 250.

(17) محمد محمود الزبيري ، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 93.

(18) المصدر السابق، ص 93.

(19) المصدر السابق، ص 95- 96.

(20) المصدر السابق، ص 221-222.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(21) المصدر السابق، ص 223-224.

(22) المصدر السابق، ص 88.

(23) المصدر السابق، ص 145.

(24) المصدر السابق، ص 304.

(25) المصدر السابق، ص 266.

(26) المصدر السابق، ص 269.

(27) المصدر السابق، ص 358.

(28) المصدر السابق، ص 358.

(29) المصدر السابق، ص 233-234.

(30) المصدر السابق، ص 235.

(31) المصدر السابق، ص 106-107.

(32) المصدر السابق، ص 76.

(33) المصدر السابق، ص 76.

(34) المصدر السابق، ص 77.

(35) المصدر السابق، ص90.

(36) المصدر السابق، ص 232.

(37) انظر: عز الدين إسماعيل، الشعر المعاصر في اليمن: الرؤية والفن، 13.

(38) محمد محمود الزبيري، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 142، 143.

(39) المصدر السابق، ص 143.

(40) المصدر السابق، ص 227.

(41) المصدر السابق، ص 229-230.

(42) المصدر السابق، ص 322.

(43) انظر: إسماعيل بن علي الأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر، دمشق، 1416هـ/ 1995م،2/ 604.

(44) انظر: محمد محمود الزبيري، المنطلقات النظرية في فكر الثورة اليمنية، دار العودة، بيروت، ط1، 1983م، ص 88.

(45) محمد محمود الزبيري، الأعمال الشعرية الكاملة، ص97، 102.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(46) عبد الله بن حمزة، مجموع رسائل الإمام عبد الله بن حمزة، ص 166.

(47) حميدان القاسمي، مجموع السيد حميدان، مكتبة أهل البيت، صعدة، اليمن، ط2، 1436هـ، ص236.

(48) محمد محمود الزبيري، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ١٠٢ – 103.

(49) انظر: محمد محمود الزبيري، الإمامة وخطرها على وحدة اليمن، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء،ط1، 1425هـ، ص 28.

(50) محمد محمود الزبيري، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 359.

(51) انظر: إسماعيل بن علي الأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، 3/ 1513.

(52) محمد محمود الزبيري، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 360.

(53) عبد الله بن حمزة، مجموع رسائل الإمام عبد الله بن حمزة، ص 109

(54) محمد محمود الزبيري، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 69–70.

(55) انظر: عبد العزيز المقالح، الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن، دار العودة، بيروت، ط 2، 1978م، ص 61.

(56) محمد محمود الزبيري، الأعمال الشعرية الكاملة، ص2220–221.

(57) المصدر السابق، ص 66.

(58) انظر: عبد العزيز المقالح، شعراء من اليمن، دار العودة، بيروت، ط1، 1983م، ص ٢١.

(59) انظر: عبد العزيز المقالح، الشعر بين الرؤيا والتشكيل، طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٨٥م، ص 357.

(60) محمد محمود الزبيري، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 296.

(61) المصدر السابق، ص 298–297.

(62) أحمد قاسم المخلافي، الشعر اليمني المعاصر بين الأصالة والتجديد، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، د.ت، ص 158.

(63) محمد محمود الزبيري، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 308–309.

(64) المصدر السابق، ص 65.

(65) المصدر السابق، ص271.

(66) المصدر السابق، ص75.

(67) المصدر السابق، ص81.

(68) المصدر السابق، ص70–71.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(69) المصدر السابق، ص431.

(70) المصدر السابق، ص346-347.

(71) المصدر السابق، ص232، 233.

(72) انظر: عبد الله البردوني، رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه، دار العودة، بيروت، ط3، 1978م، ص125.

(73) محمد محمود الزبيري، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 483.

(74) المصدر السابق، ص144.

(75) المصدر السابق، ص 258-259.

(76) المصدر السابق، ص265.

(77) المصدر السابق، ص 265-266.

(78) المصدر السابق، ص 249.

(79) المصدر السابق، ص 299.

(80) المصدر السابق، ص 303.

(81) المصدر السابق، ص 303، 305.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com